المرأة اليهودية في الثقافة والأدب

بقلم أديب قعوار

الحركة الصهيونية (*) حركة استعمارية هدفها اغتصاب فلسطين واقتلاع شعبها العربي من أرضه واستبداله بشعب مفتعل . شعب قوامه شتات من الناس يؤتى بهم من اربعة اطراف المعمورة ولا يجمع بينهم سوى وحدة الديانة اليهودية . هذا بينما يحملون اعجب خليط من العادات والتقاليد والثقافات واللغات . فبحكم هذا الهدف توجب على الحركة الصهيونية بذل الكثير من الجهود في مجالي الثقافة والادب لتحقيق الاهداف التالية :

- تطعيم اليهود بالآراء الصهيونية واقناعهم حيثما كانوا في العالم بوجوب الهجرة الى فلسطين .
- دمج هذا الخليط من اليهود لافتعال مجتمع موحد وخلق مقومات الامة في صفوفه .
- غسل دماغ العالم لتقبل عملية اغتصاب الارض والاقتلاع والزرع البشري في فلسطين .
- الدعاية لعملية الجباية (الاستجداء) على نطاق الحكومات والمنظمات والافراد في العالم لصالح العمل الصهيوني .

ولتحقيق هذه الاهداف يتوجب ، كما قلنا بذل الكثير من الجهود في مجالي الثقافة والادب اللذين كان لا بد من ان يعتمدا على مبررات سياسية مختلقة سداها ولحمتها الخداع والتضليل .

(*) فصل من كتاب « المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة » الذي يصدر قريبا عن « مركز الابحاث الفلسطينية » .

وليس هدفنا في هذا البحث تقييم الثقافة والادب العبريين من الناحية الفنية ، فهما يعتمدان على التضليل لنشر سياسة « اخلاقية تنتفي منهما الناحية الفنية » بل هدفنا هنا معرفة وسائلهما في ما توصلا اليه من اهداف . ومع ان المضمون العام للثقافة والادب الصهيونيين النسائيين لا يختلف عن المضمون العام لثقافة وادب الصهيونيين الرجال ، الا ان هناك بعض الجوانب الثانوية التي فرضتها طبيعة المرأة ونوعية الاعمال التقليدية التي تقوم بها معظم النساء اليهوديات في فلسطين المحتلة . كما ان خروجها عن نطاق العمل التقليدي للنساء اوجب توجيها ثقافيا خاصا .

وبالنسبة للنشاط الثقافي النسائي فقد كان منذ مطلع موجة الهجرة الاولى يهدف الى تسييس العمل الاجتماعي والانتاجي ، اذ ان هدف هذا وذاك كان توسيع رقعة الاستعمار الصهيوني في فلسطين لافساح المجال لاستقدام المزيد من المهاجرين اليهود اليها . فتدريب المرأة على زراعة قطعة الارض الصغيرة حول كوخها في مخيمات العبور (1) او الى جانب بيتها الدائم كان يلاحقه ابدا ترسيخ الفكرة بان هذا العمل يزيد من رسوخ جذور المهاجرين في « ارض الوطن » . وعندما تجمع المرأة ثمرة عملها وتزيد دخل العائلة ، كانت تثار هذه النقطة ويركز عليها لزيادة ثقة المرأة بنفسها كونها انسانا منتجا كالرجل . وعندما تلقى المحاضرات على الامهات المهاجرات حول رعاية الطفل والتغذية والنظافة كان يركز على ان هذا يؤدي الى انشاء شعب صحيح قوي قادر على « استعادة الوطن وبناء الامة » . وعندما تدرّس التربية الوطنية فانهن يوجهن نحو تفهم دور الدولة والاتحادات العمالية والتنظيمات العسكرية والعمل العسكري في حياتهن وفي حياة « الامة » ككل ، لان الموجهين الصهيونيين يعلمون ان دولة ارضها مغتصبة وشعبها الاصيل مشرد لا يمكن ان تبقى الا بقوة السلاح ، لذا يتوجب على اليهود فيها ، ومنهم النساء ، ان يتجاوبوا مع حكومتهم وينصاعوا لاوامر قادتها العسكريين بدقة وتفهم تامين . هذه بعض الامثلة التي ركز عليها في تثقيف النساء اليهوديات في فلسطين .

ولايجاد هذا التفاهم وهذا التجاوب وهذا الانصهار بين هذا الشتات من البشر الذي سمي « الشعب اليهودي » وايجاد مقومات قومية اساسية له ، حاولوا خلق ثقافة عبرية صهيونية ، اي ثقافة يهودية عبرية اللغة وسياسية صهيونية المحتوى والاسس . ولم يكن بالامكان الا التركيز على خلق ثقافة يهودية شاملة بلغة عبرية . فالثقافة العبرية حتى زمن قريب لم تكن لتتعدى المجال الديني ، المرتكز الوحيد لما يسمى « القومية اليهودية » . فعند نشوء الصهيونية الحديثة لم تكن اللغة العبرية لسان الحياة اليومية ولا الابحاث الفكرية حتى بين اكثر الصهيونيين حماسا وتطرفا . وطبيعة العمل الصهيوني توجب تسييس حتى حزافر كل مجهود يقوم به كل يهودي وكل مؤيد للصهيونية ، فكل عمل يجب أن يخدم اهداف الحركة الصهيونية باغتصاب فلسطين وخلق « اسرائيل الكبرى » فيها وفيما حولها من اراض .

وقد كان للمرأة اليهودية في فلسطين قبل الاحتلال الصهيوني وبعده دور فعال في مجالات التثقيف والتعليم والتوجيه والدعاية والخدمات . ولو اخذنا مثلا التعليم لرأينا ان المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة تحتكر التدريس في رياض الاطفال و ٧٠٪ في المدارس الابتدائية وما يقارب ٤٠٪ من التدريس الثانوي ، لذا كان للمرأة اليهودية دور اساسي في خلق الثقافة العبرية الصهيونية السياسية وتوجيه الناشئة وفق المباديء الصهيونية (ان التربية والثقافة في فلسطين تشملهما وزارة واحدة) . وتعليم المهاجرين الجدد اللغة العبرية و « تثقيفهم » وفق اهداف « اسرائيل » التوسعية وزرع الحقد في قلوبهم نحو العرب واعدادهم لقتالهم .

ولا شك ان عددا من المواضيع التي تدرس للناشئة والمهاجرين الجدد ومنها اللغة العبرية وآدابها والديانة اليهودية وتاريخ وجغرافية فلسطين والمنطقة المحيطة بها « اسرائيل الكبرى » ، بشكل خاص ، والوطن العربي بشكل عام معتمدين مغالطة الحقائق والاختلاق وتشويه التاريخ ، كما انشئت كليات للدراسات العربية في جامعات فلسطين المحتلة تدرس فيها اللغة العربية وآدابها ولهجاتها المختلفة وانظمة الحكم العربية واسلوب الحياة والتقاليد في كل جزء من اجزاء الوطن العربي ... الخ . تحت شعار « اعرف عدوك » . كل ذلك وفق مخطط حاقد يهدف الى « تثقيف » الناشئة والمهاجرين الجدد ومجموع يهود فلسطين المحتلة وبقية العالم حسب هذا المخطط السياسي الصهيوني .

بعد هذه النظرة العاجلة على التثقيف السياسي الصهيوني، وهو كما قلنا ركيزة التوجيه في الثقافة اليهودية في فلسطين وفي نطاق المجتمعات اليهودية في العالم ، نرى انه من المفيد درس بعض نواحي الحياة الثقافية الاخرى التي تعطينا فكرة حول النشاطات الثقافية اليومية لليهود واليهوديات في فلسطين ونسبة ذلك النشاط باللغة العبرية واللغات الاجنبية .

(1) مخيمات العبور هي المخيمات التي يقيم فيها المهاجرون اليهود الجدد الى فلسطين حتى تتوفر لهم اماكن السكن الدائمة .

ويبين لنا الجدول رقم (١) نسبة قارئي وقارئات الصحف اليومية والكتب من اليهود ممن تعدوا سن الثامنة عشرة ، وذلك حسب الجنس واللغة . ويلاحظ أن نسبة القراء الذكور تزيد عن نسبة القارئات الا فيما يتعلق بقراء اللغات الاجنبية فقط . اذ ان نسبة القارئات اللواتي يقرأن باللغات الاجنبية فقط هي (٤١ بالمئة) بينما النسبة بين الذكور (٢٦،٢ بالمئة) . اما نسبة اللواتي يقرأن الصحف باللغات الاجنبية فقط فهي ٢٨،٣ بالمئة مقابل (١٦،٤ بالمئة) من الذكور . ويلاحظ ايضا انه بينما تتقارب نسبة قارئات الكتب العبريه (٤٤،٧ بالمئة) مع نسبة قارئات الكتب باللغات الاجنبية (٤١ بالمئة) تزيد نسبة قارئي الكتب العبرية (٥٧،٨ بالمئة) على ضعف قارئي الكتب باللغات الاجنبية (٢٦،٢ بالمئة) اما نسبة قارئي وقارئات الكتب بالعبرية وباللغات الاجنبية معا فتكاد تتساوى اذ انها للذكور (١٦ بالمئة) وللاناث (١٤،٣ بالمئة) . وكذلك فيما يتعلق بالصحف فهي (١٢،٢ بالمئة) للذكور و (٩،٨ بالمئة) للاناث .

جدول رقم (١)

قارئي وقارئات الصحف اليومية والكتب من اليهود
العمر ١٨ عاما فما فوق ـ حسب الجنس واللغة

	قارئو الكتب (١) النسبة المئوية				قارئو الصحف (٢) النسبة المئوية			
	عبري فقط	لغات اجنبية فقط	عبري ولغات اجنبية	% (٣) من مجموع القراء	عبري فقط	لغات لغات فقط	عبري ولغات اجنبية	% (٣) من مجموع القراء
ذكور	٥٧،٨	٢٦،٢	١٦،٠	٥٣،٢	٧١،٤	١٦،٤	١٢،٢	٨٢،٢
اناث	٤٤،٧	٤١،٠	١٤،٣	٥٢،٩	٦١،٩	٢٨،٣	٩،٨	٦٦،٧
المجموع	٥١،٢	٣٣،٧	١٥،١	٥٣،١	٦٧،١	٢١،٨	١١،١	٧٤،٣

١ ـ في الشهر .
٢ ـ صحف صباحية ومسائية . مرة على الاقل خلال الاسبوع الذي جرى الاحصاء خلاله .
٣ ـ من جميع الذين سئلوا .

وبينما تكاد تتعادل نسبة قارئي وقارئات الكتب بكافة اللغات : (٥٣،٢ بالمئة) من الذكور و (٥٢،٩ بالمئة) من الاناث نجد أن الفرق اكبر بكثير فيما يتعلق بقارئي وقارئات الصحف بمختلف اللغات : (٨٢،٢ بالمئة) من الذكور و (٦٦،٧ بالمئة) من الاناث ، وهذا يرجع ، في رأينا ، لكون الذكور اكثر اهتماما بالامور السياسية من الاناث . ولكن مما لا شك فيه ان نسبة (٦٦،٧ بالمئة) بحد ذاتها فيما يتعلق بقارئات الصحف هي نسبة عالية . وهذا يدل على مدى اهتمام اليهود في فلسطين المحتلة بالامور السياسية والعسكرية نظرا للوضع غير الطبيعي والتأزم الدائم الذي يحيون فيه مما يثير اهتمامهم باستمرار. ولكن يجب الا نقلل مطلقا من اهمية نسبة قراء الكتب بين الراشدين والراشدات التي تزيد على نصف مجموع السكان .

ونقطة اخرى تلفت النظر من ناحية التوجيه الثقافي في مجتمع اكثرية سكانه ولدوا بألسنة غريبة عن لسانه هي ان الموجهين الصهيونيين قد نجحوا الى حد ما ، في تخطي عقبة اللغة بحيث نرى ان اكثر قارئي وقارئات الكتب والصحف ومستعمي ومستعمات الاذاعة يقرأون ويستمعون باللغة العبرية . وقد يرجع ذلك ، اذا صحت الاحصائيات التي اعتمدنا عليها ، وهي صادرة عن « دولة اسرائيل » ، الى توفر المطبوعات والاذاعات باللغة العبرية اكثر من اللغات الاجنبية .

اما الجدول رقم (٢) فيبين نسبة المستمعين الى الاذاعات « الاسرائيلية » من اليهود ممن تزيد اعمارهم عن ١٨ عاما وذلك حسب الجنس والسن . ومنه نرى ان (٩٠،٥ بالمئة) من الذكور و (٨٧،٨ بالمئة) من الاناث استمعوا الى اذاعة « صوت اسرائيل » او الى « اذاعة الجيش » خلال الاسبوع الذي جرى خلاله الاستفتاء .. واعلى نسبة من المستمعين هم ممن تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٢٩ عاما في حين أن من تزيد اعمارهم على الستين عاما فيستمع منهم (٧٧،٣ بالمئة) الى برامج هاتين الاذاعتين .

جدول رقم (٢)

نسبة سماع الاذاعة بين اليهود واليهوديات الراشدين

	الجنس ذكور	الجنس اناث
النسبة المئوية لسامعي الراديو (١) الذين سمعوا من اصل مئة من الاحد	٩٠،٥	٨٧،٨
حتى السبت (٢)	٩٦،٢	٩٣،٦
ايام الاسبوع ـ المجموع	٩٤،٧	٩٠،٥
٦،٠٠ ـ ١١،٠٠ صباحا	٦١،٥	٦٩،١
١١،٠٠ ـ ١٤،٣٠ ظهرا	٣٩،٢	٥٥،٦
١٤،٣٠ ـ ١٩،٠٠ بعد الظهر	٦٣،٠	٥٩،٢
١٩،٠٠ ـ ٢٣،٠٠ مساء	٨٩،٧	٨٤،٠

	الجنس ذكور	الجنس اناث
الجمعة مساء والسبت	٧٠،٠	٥٨،٩
السبت مساء	٦٥،١	٥٦،٧
من المئة مستمع جميعا الذين استمعوا خلال الاسبوع (٣)		
صوت اسرائيل ـ الاذاعة العبرية	٩٣،٤	٨٦،٤
صوت اسرائيل ـ لغات اجنبية	٥١،٥	٥٣،٩
برامج خفيفة	٧٧،٦	٧٣،١
اذاعة الجيش	٥٦،٩	٥٠،٣
من اصل المئة مستمع الذين استمعوا يوم السبت	٧٤،٨	٦٧،١

١ ـ اذار ١٩٦٦
٢ ـ استمعوا مرة على اقل تعديل خلال الشهر
٣ ـ نتيجة استفتاء جرى خلال اسبوع ابان عام ١٩٦٥ اذاعه « صوت اسرائيل » و « اذاعة الجيش » .

ويلاحظ ان نسبة المستمعين باللغة العبرية تزيد عن نسبة المستمعات بهذه اللغة (٩٣،٤ بالمئة) من الذكور و (٨٦،٤ بالمئة) من الاناث . بينما تزيد نسبة الاناث اللواتي يستمعن باللغات الاجنبية (٥٣،٩ بالمئة) عن نسبة المستمعين بهذه اللغات (٥١،٥ بالمئة) . كما تزيد نسبة المستمعين الى اذاعة الجيش ذات البرامج التوجيهية عن نسبة المستمعات : (٥٦،٩ بالمئة) من الذكور و (٥،٠٣ بالمئة) من الاناث .

ويلاحظ أيضا انه بينما نسبة المستمعين الى الاذاعات باللغة العبرية بين من تعدوا سن الستين هي (٧٨،٩ بالمئة) نرى ان (٩٢،١ بالمئة) ممن تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٢٩ عاما يستمعون الى هذه الاذاعات . هذا بينما نرى ان نسبة المستمعين باللغات الاجنبية هي أكبر بين المتقدمين في السن عما هي بين فئة الشباب وتكاد تبلغ الضعف : (٧،٠٥ بالمئة) للشيوخ و (٣٦،٩ بالمئة) للشباب . اما من تتراوح اعمارهم بين ٣٠ و ٤٤ عاما فنسبتهم (٥٣،٧ بالمئة و ٦،٠٤ بالمئة) بين من تتراوح اعمارهم بين ٤٥ و ٥٩ عاما . ويرجع ذلك الى كون أكثرية اليهود المتقدمين في السن ولدوا خارج فلسطين ولغتهم الاصلية غير عبرية .

ويبين الجدول رقم (٣) ، النسبة المئوية لحضور اليهود ممن تعدوا سن الثامنة عشرة للسينما في الشهر ، وذلك حسب احصاء جرى خلال شهر حزيران (يوليو) ١٩٦٥ .

جدول رقم (٣)

النسبة المئوية لحضور الراشدين اليهود للسينما في الشهر

عدد المرات	ذكور	اناث
لم يذهبوا	٣٦،١	٤٠،١
١ ـ ٣ مرات	٣٦،٣	٣٩،٦
٤ مرات فما فوق	٢٧،٦	٢٠،٢
معدل المرات في الشهر	١،٩	١،٦
المجموع	١٠٠،٠	١٠٠،٠

ويتبين لنا من هذا الجدول ان نسبة حضور الذكور للسينما ومعدل عدد المرات التي يذهبون فيها اليها في الشهر يزيدان عنهما بين النساء .

في الادب :

الادب الصهيوني عامة هو ـ كما بينا ـ ادب سياسي يهدف الى استعمار فلسطين واستبدال عربها بمعتنقي الديانة اليهودية اينما كانوا في العالم . وقد كان على الادباء الصهيونيين اقناع العالم بحق اليهود في فلسطين . لذا ركزوا على عدد من النقاط دار حولها الادب الصهيوني بشكل عام ولم تشذ « الاديبات » الصهيونيات عن اتجاه زملائهن هذا .

والادب الصهيوني الذي كتب في فلسطين (ولا نقتصر في بحثنا هذا على القصة والشعر بل كل ما كتب) يختلف الى حد ما في لهجته بالنسبة للقضايا التي عالجها باختلاف الفترات الزمنية التي كتب خلالها والوضع السياسي والاجتماعي الذي عاشه اليهود ابانها.وهذه الفترات الزمنية هي :

١ ـ قبل الحرب العالمية الثانية .
٢ ـ ابان الحرب العالمية الثانية .
٣ ـ فيما بين الحربين العالميتين .
٤ ـ خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها .
٥ ـ بعد قيام « اسرائيل » .

وليس هدفنا هنا تفصيل ما هية الانتاج الادبي الصهيوني في كل من هذه الفترات الزمنية ، فتقسيمنا الزمن الذي تلا نشوء الفكرة الصهيونية الحديثة وبدء عملية استعمار فلسطين حتى هذا اليوم كان لمجرد الاشارة الى ان وضع اليهود في كل من هذه الفترات الزمنية أثر الى حد لا بأس به على اسلوب وروحية الانتاج الادبي خلالها . ومثل على ذلك قول « بونا باستور » في مقالها « العرب في الادب العبري الحديث » وذلك خلال بحثها في الانتاج الادبي العبري فيما بين الحربين العالميتين :

« ... وقد اكدت هذه اللقاءات السريعة الضعف اليهودي والشعور بالانتماء الى الاقلية المكونة من المهاجرين الاوروبيين الداخلين الى محيط غريب » (٢) .

هذا بينما نراهم ، عندما كثر عددهم وخصوصا عندما قامت لهم في فلسطين دولة ، يستأسدون وتغلي في نفوسهم العنجهية ، وقد عبروا عن ذلك في ادبهم رجالا ونساء . هذا ولا يزال بعض الادباء والاديبات اليهود يعبرون عن القلق الذي يخامرهم نتيجة للنصر المحدود الذي حققته الصهيونية حتى الان .

اما النقاط الرئيسية التي دار حولها الادب العبري منذ نشوء الحركة الصهيونية الحديثة فهي :

١ ـ حق اليهود في فلسطين كوطن قومي لا يناقش !
٢ ـ « الريادة » وتعمير وطن محتمل !
٣ ـ عدم اهلية العرب كشعب متأخر بأن يكون لهم وطن . وهذا يعبر عن نظرة استعلاء وتكبر .
٤ ـ الحكم الاجنبي لفلسطين ـ الاتراك والانكليز ـ كمحقق لامال الصهيونية وكعدو لها !
٥ ـ اللاسامية واضطهاد اليهود خصوصا في المانيا النازية واوروبا الشرقية !
٦ ـ اليهود الشرقيون .

وقد كان على الكتاب والكاتبات الصهيونيين مغالطة الحقائق وتزويرها عند اثارتهم النقاط التي « تبرر » استعمارهم لفلسطين . وقد قال غسان كنفاني في هذا المجال :

« وقد جعلته هذه السمة (الادب السياسي) نوعا من الادب يختلف جوهريا عما صار يعرف بأنه الادب الموجه . ذلك ان الاول عكس الاخير ـ يعتمد في الاساس على اخضاع الحقائق بأي ثمن لخدمة موقف معين مسبق حتى لو كان هذا الاخضاع يستلزم تشويه المعطيات التاريخية ، الكذب حينا والتجاهل احيانا والفرار من النتائج التي تطرحها تحليلات ومواقف وافتراضات مقحمه بالقوة على العمل الفني » (٣) .

وازيد فافول : مقحمة بالقوة (اذا صح التعبير) على الحقيقة .

ولو درسنا اي عدد من المؤلفات التي خطتها اقلام الكاتبات اليهوديات لوجدنا ان النقاط المذكورة اعلاه واردة في معظمها في كل من مؤلفات تلك الكاتبات مهما كان موضوع البحث .

انطلقت الحركة الصهيونية في تبرير مطالبتها بوطن قومي في فلسطين على ما ورد في التوراة التي سجلوا فيها تاريخهم بما يتفق مع مآربهم ، على ما في ذلك من مغالطات ، وادعوا بانهم شعب الله المختار ، وان الله وهبهم أرض فلسطين ، ارض الميعاد ، من النيل الى الفرات . ولم يحاول الكتاب والكاتبات اليهود ايجاد البراهين حول هذه النقطة ، خارج دفتي التوراة ، وذلك لابقائها بعيدة عن الجدل . بل اثاروا واثرن نقاطا اخرى اما لاثارة الاحتقار نحو بعض الشعوب وفي طليعتهم العرب لاظهارهم بعدم الجدارة بوطن كفلسطين، او السخط على غيرهم لاضطهادهم « شعب الله المختار » او اثارة الشفقة على الشعب المختار الذي يتحمل المآسي بالنيابة عن العالم . « نحن يهود ، ومصيرنا يختلف عن مصير بقية الشعوب . نحن شعب مختار ، مختار

(٢) NEW OUTLOOK Middle East Monthly
Tel Aviv, Vol. 7 No 3 (16), March-April 1964 P. 41

(٣) في الادب الصهيوني ، بقلم غسان كنفاني ، سلسلة دراسات فلسطينية ، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث رقم (٢٢) ، بيروت ١٩٦٧ ـ صفحة ٨٢ .

للعذاب . واشعر ان تصرفي نحو العالم ككل يأخذ اتجاه المقاطعة الحادة ـ وانا أخاف هذا الاتجاه » (٤) . هذا ما نقلته فيرا وايزمان في رسالة حررها لها زوجها (رئيس « اسرائيل » الاول) عام ١٩٠٤ وادرجتها في يومياتها التي تحمل اسم « المستحيل يأخذ وقتا اكثر » . وقد جاء في نقد مجلة « الايكونومست » البريطانية لهذا الكتاب :

« ولكنه (أي الكتاب) يوحي بأن المؤلفة يمكن ان تثير الجنون ، في بعض الاحيان لانها غير حساسة ، وفي احيان اخرى لانها صغيرة ، ولانها كانت ذات عنجهية . ومثلا على ذلك فانها بالرغم من كتابتها عن اماكن السكن المكتظة بالاسرائيليين فانها مع ذلك لم تجد من مانع في وصف الرفاهية في البيت الذي تحلم به . كذلك فانها عند كتابتها عن نساء اخريات تحاول أن تنيل من احترام من كانت ذات مركز او مرونة او شجاعة » (٥) .

كذلك نقلت قول زوجها لتشمبرلن ، رئيس وزراء بريطانية الاسبق « لقد نمت خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية امة يهودية تتميز بمدنية خاصة ... ويوجد من الاخلاق والقوة الفكرية في الكيلومتر المربع في الجزء اليهودي من فلسطين اكثر مما يوجد في أي بلد اخر في العالم » (٦) .

أما « جيرالدين شتيرن » فتقول على لسان «دينا كوهين» المولودة في فلسطين (صبرة) وذلك خلال حديثها عن وضع اليهود أبان معركة ١٩٤٨ قولا لا يتفق مع ما قاله « حاييم وايزمان » « لتشمبرلين » ، قالت كوهين : « خلال حرب ١٩٤٨ لم يكن هناك اطباء في الخطوط الامامية ، فقد كانت القاعدة هي النقص الحاد في الرجال والنساء المدربين . لذا فقد دربتني الهاجانا على الاسعاف الاولي واصبحت مسؤولة عن خمسة او ستة رجال مسؤولين بدورهم عن وحدات صغرى ... انها لمسؤولية كبيرة لفتاة عمرها سبعة عشر عاما » (٧) . واعتقد ان في هذين المثلين المتناقضين مما نقله الادب النسائي الصهيوني الكفاية لابراز هذه الناحية فيه .

وفي الادب النسائي اليهودي العديد من الامثلة على وعي عدم جدوى بناء القومية على اساس الدين لوحده ، هذا اذا صح اعتبار الدين كاحد الاسس التي ترتكز عليها الوحدة القومية ، لذا ركز على خلق ثقافة يهودية وجعل اللغة العبرية لغة الحياة اليومية وفي هذا تقول « آدا ميمون » : « وكان علينا ان نخلق مجتمعا متجانسا من مثل هذا الفريق ، وكانت أداتنا الرئيسية تعليم اللغة والثقافة العبريتين». وتضيف مبينة نوعية الفريق الذي تتحدث عنه فتقول : « وقد اتت تلك الفتيات من بيئات مختلفة كليا . وقد نشأت بعضهن في عائلات مندمجة وليس لديهن اي فكرة عن القيم والعادات اليهودية » (٨) . ولم تبين الكاتبة كيف يمكن ان توجد قيم وعادات موحدة بين جماعات من الناس تعيش تقريبا في كل بلد من بلدان العالم ولا يجمع بينهم جامع سوى وحدة المعتقد الديني ، هذا مع العلم بان الكثيرين منهم لم يكن يمارس اي طقوس دينية ، ولم يكن للدين اي تأثير في حياته .

وكان لا بد من ايجاد الارض التي يعيش عليها الشعب ، اي الوعاء الذي ينصهر فيه هذا الخليط العجيب من البشر. وقالوا بفكرة الريادة، أي ان يقوم الشباب اليهودي بالهجرة من اوروبا الى فلسطين لتعمير ارضها . والعجيب انه لفرط ما ركز على هذه الناحية في الادب الصهيوني فقد ابتلع جزء لا بأس به من العالم الاكذوبة القائلة بان اليهود وجدوا فلسطين صحراء مهملة فعمروها فاينعت ، لذا حقت لهم ، « وينظرون حولهم ليروا امبراطوريتهم التي صنعوها بايديهم ... غابات خضراء ، بساتين فاكهة ، ماشية ودواجن وحقول الحبوب المتماوجة ، وبامكانهم ان يجدوا بعض الاحجار التي يجب ازالتها، تقف كشواهد لايام الريادة في سني شبابهم الباكرة » (٩) . كلام شاعري اتقنه الادباء الصهيونيون ، ويغري بالتصديق لمن لا يعرفون الحقيقة خصوصا الغرب المستعمر للعالم القديم او العالم الجديد الذي لا يزال يشاهد ويقرأ افلام وكتب « الغرب الاميركي » بهنوده الحمر المتوحشين الذين قامت على بقاياهم واشلائهم مدنية زاهرة . كذلك يصور الادب الصهيوني قصة « الرواد » الصهيونيين واعدائهم العرب .

هذه هي الحركة الصهيونية في الادب الصهيوني « حركة رائدة » ورسل حضارة . اما العرب فبدو وفلاحون يعملون كالارقاء في خدمة السادة « الافندية » الاقطاعيين مسيرين لا يفكرون . « ومن الشرق ، كان هنالك عشرات من خيم البدو السوداء معلقة على منحدرات التل الذي كان يتوجه قصر عبدالرحمن بك : وكان البدو عماله وخدامه»(١٠).

والعربي كما يصوره الادب الصهيوني يعيش مع حيواناته فتكتب « جيرالدين شتيرن » بلسان محدثتها « مريم باراتز » التي كلفها زملاؤها ايجاد مكان لهم ليعيشوا فيه في خضير فتقول « المكان الوحيد الذي وجدته كان خانا ، فندق عربي للرجال والحيوانات » (١١) . والمعروف ان الخانات قبل عهد السيارات كانت معروفة في الشرق والغرب ، وكانت في كل مكان تقدم الخدمات للضيف وتقوم باطعام خيله وأيوائها ، ولكن الكاتبة ارادت أن تطعن بالعرب فاستعملت الكلمة العربية باحرف لاتينية ولم تستعمل مرادفها بالانجليزية INN وذلك في سبيل التضليل . اما « بونا باستور » فتصف عرب فلسطين في مقالها « العرب في الادب العبري » فتقول : « اما العرب فيصورون في بعض الاحيان بشكل المزارعين البسطاء الذين ينحنون تحت تقاليدهم القديمة قدم الدهر ويندمجون عضويا في محيطهم » (١٢) .

اما الارهابية الصهيونية « جولا كوهين » فتحاول جهدها تصوير العرب بشكل بدائي ، واكثر نماذجها « العربية » اتت بها من السجن. فهناك البغي التي خدمت في بلاط الملك فاروق ، واللصة التي تعتقد ان الله دفعها الى السرقة ، والدليلة ... وتتحدث عنهن كأنهن من النماذج الاصيلة التي تصور الحياة العربية « وعندما رأتني « خليصة » رمت بنفسها على قدمي باكية وقالت ، انت يهودية ويمكنك ان تتحدثي اليهم بلغتهم اللعينة ، أتوسل اليك » (١٣) ... وتضيف على لسان « خليصة » قائلة ، « وقلت للشرطة ، على اقل تعديل اعيدوا الي بعض المال (الذي سرقته) وضحك احدهم وسألني ، لماذا تسرقين ؟ فاجبته ، انه من الله ، كله من الله . ورددت الملتفات حولها ، ليتمجد اسم الله، كله من الله . واضافت خليصة ، لو انني استطعت ان اخبىء المال الذي سرقته لما همني السجن ، فسأمكث فيه بضعة شهور ثم يطلق سراحي فأتمتع بالمال » (١٤) . وتحاول تصوير بدائية المرأة العربية واستسلامها للعبودية فتقول : « كن فلاحات كما تدل ثيابهن ولهجتهن . وبعد ان هززن رؤوسهن ليعبرن عن شفقتهن علي بسبب محنتي ، عدن الى عملهن اليومي ، عدن يغسلن الارض . لقد صعقني استسلامهن

---

(٤) The IMPOSSIBLE TAKES LONGER, The memoirs of Vera Weizman as told to David Tutaev Hamish Hamilton : London 1967, Page 22

(٥) The Economist, July 8, 1967

(٦) The Impossible Takes Longer : The memoirs of Vera Weizman P. 175

(٧) Daughters From Afar; by : Geraldine Stern.

(٨) Women Build A Land; by : Ada Maimon, P. 132.

(٩) Daughters From Afar, by : Geraldine Stern, P. 147

(١٠) Women Build A Land, by : Ada Mairnon P. 125

(١١) Daughters From Afar, by : Geraldine Stern, P. 44

(١٢) NEW OUTLOOK Middle East Monthly - Tel Aviv Vol. 7, No. 3 (61) March-April 1964

(١٣) Women of Violence : Memoirs of a yong terrorist, by Geula Cohen, P. 136

(١٤) المصدر نفسه ، صفحة ١٣٧ .

وتصرفهن كما لو كن في بيوتهن » (١٥) . كله كلام حاولت ان تغلفه بغلاف من السيلوفين الادبي الشفاف للتضليل والطعن .

اما اذا تحدث الادب الصهيوني عن العربي المثقف فيظهره كما لو انه يتفهم القضية الصهيونية وتوضع في فمه اقوال تدين شعبه وتصفه بالانحطاط . وتكتب « جيرالدين شتيرن » بلسان انطوانيت خوري الفلسطينية العربية مذيعة زاوية المرأة من الاذاعة «الاسرائيلية» لتحط من قيمة العرب بطريقة غير مباشرة : « هذا ما احاول ان اقوم به في (زاوية المرأة العربية) ، ان ارفع من مستواهن ولو قليلا ـ ليس ببطء ، ولكن بقفزات ووثبات. انه لمن الصعب جدا تغيير اطباعهن»(١٦).

وتحاول الكاتبة اثارة التفرقة الطائفية بين العرب او الطعن بفئة معينة منهم لاثارتها على الفئة الاخرى ، مستعملة لسان انطوانيت خوري ونمعن في ذلك لتقول ان التأخر ناتج عن المعتقدات الدينية . وتحاول ان تبين باسلوبها كيف ان فتاة عربية مثقفة لا تجد حرجا في التعامل مع « اسرائيل » وتمثيلها في المؤتمرات ، « لقد اثارني ان اعرف ان معلمة عربية مسيحية كانت واحدة من ثلاثة مندوبين ارسلهم اتحاد المعلمين في « اسرائيل » لتمثيله في مؤتمر المعلمين العالمي المنعقد في اسطنبول » (١٧) . وتشترك آدا ميمون مع شتيرن في اعطاء انطوانيت خوري نفسها كمثل لتعاون المثقفين العرب مع حكومة الاحتلال اليهودي فتقول ، « « وفي اليوم التالي وخلال جلسة المساء ، اتى وفد من النساء العربيات المنضمات (لجامعة فلسطين للعمل) للتحدث الى المؤتمر ، وحيته باسمهن مس خوري من يافا » (١٨) .

وتتحدث جيرالدين شتيرن بلسان مس خوري نفسها فتقول ، « وخرجت انطوانيت من صفها ، وبينما هي تغلق الباب تمكنت من رؤية غرفة الصف الملأى بالتلاميذ . وقالت ، ايبقى التلاميذ الان في غرفة الصف لتلقي درس اللغة العبرية ، انا اخجل بأن اقول بأني لم اتعلم العبرية حتى الان . لقد درست الانجليزية والفرنسية والعربية في المدرسة . اما هذه الايام فكل الصغار العرب يتعلمون العبرية . لقد افتتح اليهود المدارس للعرب ويذهب المزيد منهم اليها الان . ان التعليم اجباري حتى سن الرابعة عشرة » (١٩) . وواضح الهدف من هذا الكلام الذي خطته الكاتبة عن لسان مس خوري ، ويلاحظ انه سرد بنفس اللهجة التي سرد بها الكلام المفروض ان تكون قد قالته بقية النساء التي تحدثت عنهن هذه الكاتبة ، من جولدا مائير ، الى المزارعة اليهودية العجوز ، الى الصبية اليهودية « الصبرة » الى المرأة التي تحمل رتبة كبتن في صفوف « جيش الدفاع الاسرائيلي » الخ...الهدف من هذا الكلام هو طبعا القول بأن اليهود هم الذين اتوا بالعلم للعرب لا بل فرضوه عليهم فرضا . ولا بد من لفت النظر ، وان كنا سنخرج عن موضوع بحثنا قليلا ، الى مغالطة فظيعة حول اجبارية التعليم كما ذكر في هذا المقطع حتى سن الرابعة عشرة (٢٠) . وتدل الاحصائيات الواردة في « ملخص الاحصاء لاسرائيل » لعام ١٩٦٦ ـ وتشمل هذه الارقام المدارس الخاصة والحكومية ـ انه في العام الدراسي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ كان هناك ٩٠٠ صبي من اصل كل الف صبي عربي في سن التعليم الاجباري و ٦٩٩،١ بنت من اصل كل الف بنت عربية في سن التعليم الاجباري يتلقين العلم . اما في العام الدراسي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ فقد تدنت نسبة الصبيان العرب في المدارس في هذا السن الى ٨٩٢،٩ من كل الف صبي في سن التعليم الاجباري بينما ارتفعت نسبة البنات الى ٧٠٥،٣ في الالف ، اي ان المعدل انخفض بنسبة واحد بالالف في هذه الفترة . هذا بينما لا يترك اي ولد وبنت يهوديين في سن التعليم خارج المدارس . هكذا يحاول الادب الصهيوني التدجيل على عقل العالم وعواطفه .

وهذه الاديبة نفسها تغالط الحقائق المعروفة ، وتزور الارقام . فالمعروف ان عدد عرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان ينيف على ١،٢٠٠،٠٠٠ مواطن مقابل حوالي نصف هذا الرقم من اليهود . ومع هذا تقول ، « قبل تأسيس الدولة كانت نسبة المسلمين للمسيحيين اكبر بكثير (٦٣٠،٠٠٠ مسلم و ٧٠،٠٠٠ مسيحي) ولم يهرب سوى نصف المسيحيين العرب بينما فر حوالي ٨٠ بالمئة من المسلمين . ويرجع ذلك الى ان الرهبان والكهنة بقوا في كنائسهم واديرتهم وامنوا القيادة لرعيتهم ، بينما تبع المسلمون قادتهم الافندية في الفرار » (٢١) . ان الادب الصهيوني (الذي هو ادب دعاية) يركز دائما على ان العرب فروا من فلسطين لان الدول العربية طلبت منهم ذلك ووعدتهم بالعودة بعد اسابيع قليلة ، وانهم لم يحاربوا الا مدفوعين بالاقطاعيين . ولما فر هؤلاء تبعهم عامة الشعب . كما ان في هذا المقطع الكثير من الدس ومحاولة التفرقة الطائفية . والمعروف انه لم تكن هناك قيادة للمسيحيين وقيادة للمسلمين من عرب فلسطين كل على حدة ، كما ان الكهنة والرهبان لم يشكلوا لا قبل ولا خلال ولا بعد المعركة قيادة لمسيحيي فلسطين ، اذ ان عملهم كقادة كان مقصورا على المجال الديني ولا يتعداه . ومن ساهم منهم في العمل الوطني ساهم بصفته الشخصية وليس كقائد تسلم هذا المركز نتيجة لمنصبه الديني .

هذه امثلة عن الصورة التي يظهر فيها العرب في الادب الصهيوني. اما بقية العالم فهم اما عدو ، واما صهيوني القلب ولو كان ليس يهوديا . حتى بريطانيا صاحبة وعد بلفور والتي ما اصرت على اعطائها حق الانتداب على فلسطين الا لاعدادها لتصبح وطنا قوميا لليهود. وفي قول الكثيرات من الكاتبات اليهوديات اقرار بذلك ومنهن آدا ميمون ، « وبعد ثلاث سنوات من الضياع في الحرب اتى الفرج مع وعد بلفور مرافقا طلائع الجيش البريطاني الفاتح . ومع عودة الامال شعرت الجالية اليهودية في فلسطين بأن الامل الذي راودها طيلة قرون سيتحقق في المستقبل القريب . وقد حررت اليهودية (القسم الاوسط من فلسطين) قبل الجليل . وكانت الاشهر القليلة الاولى من الاحتلال البريطاني فترة اعياد متصلة ... » (٢٢) . وقبل ذلك وبالتحديد في ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٣ قال حاييم وايزمان « لفيرا شاتزمان» التي اصبحت زوجته فيما بعد ، « اذا حدث وجاءتنا المعونة ، فسوف تأتي من انجلترا ، التي لا اشك انها ستساعدنا في فلسطين » (٢٣) ولكن فيرا وايزمان تعود لتنقل قول زوجها الى ويندهام ديدس في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ ، « اننا غير مسرورين بالنسبة للانتداب، وقد عدل مجددا في غير صالحنا » (٢٤) . وبعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين تعود فيرا وايزمان فتقول ، « ... وعلاوة على ذلك، وكي يظهر رئيس الوزراء حسن نيته (نحو اليهود طبعا) فقد استشار حاييم في مسألة تعيين مندوب سام جديد ليحل محل سير جون شانسلور ، وقد عين اداري كفؤ ومؤيد (للصهيونية) بشخص سير ارثر واكهوب.. وقد قال عنه حاييم ، « نحن في فلسطين نذكره كصديق وكمفكر وكجندي وكاداري وكرجل دولة » ، وهذا تقدير لا يمكنني ان اضيف اليه سوى القليل » (٢٥) . وقد جاء هذا القول بعد أن هاجمت فيرا وايزمان الانتداب البريطاني ، « وبعد شهر ، وفي ليلة عيد الفصح ،

(١٥) المصدر نفسه ، صفحة ١٣٦ .
(١٦) Daughters From Afar, by : Geraldine Stern, P. 111
(١٧) المصدر نفسه ، صفحة ١١٣ .
(١٨) Women Build A Land, by : Ada Maimon
(١٩) Daughters From Afar, by : Geraldine Stern, P. 115
(٢٠) ينص قانون التعليم الاجباري في فلسطين المحتلة على ان التعليم اجباري حتى سن الثالثة عشرة (وليس الرابعة عشرة كما ذكر في هذا الكتاب) او حتى يكمل المراهق مرحلة التعليم الابتدائي .
(٢١) المصدر نفسه ، الصفحة ١١٥ .
(٢٢) Women Build A Land, by : Ada Maimon, P. 56
(٢٣) The Impossible Takes Longer : Memoirs of Vera Wizman, P. 21
(٢٤) المصدر نفسه ، صفحة ٩٩ .
(٢٥) المصدر نفسه ، صفحة ١١٨ .

وبينما كان حاييم و « بنجي » في فلسطين ، قتل ستة من اليهود في المدينة المقدسة . ولما قام صديقنا القديم فلاديمير جابوتنسكي ، للدفاع عن الحي اليهودي على رأس جماعة من اليهود (المسلحين) ، سارعت السلطات العسكرية البريطانية باعتقالهم » (٢٦) . وهكذا يلاحظ التناقض الذي ينقله الادب الصهيوني على اعلى المستويات ، فاما ان تسلح بريطانية اليهود وتطلق يدهم لمد سيطرتهم على فلسطين وتفتح ابوابها لهاجريهم بدون اي تحديد وتضيق الخناق على العرب اقتصاديا وعسكريا واجتماعيا ، كل هذا معا وبدون اي استثناء ، او يهاجم البريطانيون ويجلد جنودهم ويشنق ضباطهم ، ويقول صوت الارهاب الصهيوني لبريطانية بالذات مع كل ما اسدت للصهيونية من خدمات ، « ان صوتنا يتصاعد من اعماق المقاومة العبرية . اننا لا نتكلم بموافقة العهد البريطاني ، او تحت اشرافه . ان صوتنا يأتي حرا . انه صوت هؤلاء الذين يحاربون لاجل تحرير الشعب اليهودي في وطنه التاريخي» (٢٧) . وتضيف جيرالدين شتيرن ، « اما بالنسبة الى اشارة دينا الى البريطانيين ، كانت فلسطين لا تزال تحت الانتداب البريطاني واحكامه تمنع السكان اليهود من استعمال السلاح، ولم تتوقف مقاومةالبريطانيين الا بانتهاء انتدابهم واعلان دولة اسرائيل في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ » (٢٨) . وهكذا وبكل بساطة تقوم « الاديبات » الصهيونيات بعكس الحقائق في محاولة اقناع عاطفة العالم ولا اقول عقله ، بأن « الحق اليهودي » قد « حرر » فلسطين من البريطانيين الذين كان لهم الفضل الاول في اقامة « دولة اسرائيل » .

وبالرغم من ان ابواب الهجرة اليهوديه الى فلسطين قد اشرعت امام مئات الالوف من اليهود الذين اتوا من اوطانهم ، اضطهدوا هناك ام لم يضطهدوا وهذا ما لا علاقة له بالشعب العربي ، الا ان بعض الحفاظ على حقوق عرب فلسطين في وطنهم مع ان ذلك لم يعترف به الا تحت ضغط الثورة ، كان يقابل بالنواح والعويل على صعيد عالمي. « ولم يسمح (لاكسودوس) السفينة القليلة الحظ والمكتظة بالاطفال والاحداث الذين ينطلعون الى جنة فلسطين ، بافراغ حمولتها في حيفا ولم يجد القتال العنيف الذي نشب بين اليهود والجنود البريطانيين » (٢٩) .

ووجد اليهود بما سمي باللاسامية واضطهاد النازية لليهود « قميص عثمان » لخلق العطف على اليهود وعذرا لفتح ابواب فلسطين امام ملايين اليهود . ولم تترك سانحة الا واثيرت فيها قصة اللاسامية والاضطهاد النازي . ولم تخل صفحة كتاب من تذكير بذلك . « وكانت اولى القادمات بموجب هذه الاذونات فتيات من المانيا . فقد بدأ هتلر بتنفيذ مخططه الشرير اللاسامي . وقد قررنا ان نعطي اكبر عدد من الاذونات الممنوحة لفتيات يهوديات في المانيا ... وقد اصبحت المزارع مجمعا حقيقيا للمنفيات » (٢٣) .

ولم يترك الصهيونيون اسلوبا الا وطبقوه او طبلا الا وقرعوه او وترا حساسا الا ولعبوا عليه لاثارة قضية اللاسامية بهدف الوصول الى فلسطين وتبرير ما انزلوه من جور بشعبها هم ومن ساعدوهم ، « كان الالمان يضعون المزيد من التحديدات على الجالية اليهودية ... وقد منع الاحداث اليهود من دخول المدارس العادية . وكان في براغ مدرسة يهودية واحدة بينما كان هناك الالاف من الاحداث » (٣١) . « وطرد والدي من عمله لانه يهودي » (٣٢) . « وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ فرض علينا لبس شارة صفراء كتب عليها كلمة يهودي . ولم يكن يسمح لنا بالسفر في القطارات الا وقوفا في القاطرة الاخيرة » (٣٣).

ولم تقتصر اثارة قضية اللاسامية على المانيا فقد اثيرت من قبل ذلك في غيرها من انحاء العالم ، وفي ذلك تقول فيرا وايزمان « ان اضطهاد اليهود عبر القرون في بولونيا وروسيا قد خلق فيهم نوعا خاصا من المقاومة وشوقا خاصا الى وطن اجدادهم ، الشيء الذي لم يكن ليفهم بوضوح بين اليهود الغربيين ، الذين بالرغم من اللاسامية كانوا يتمتعون باستقرار نسبي » (٣٤) . هذا مع انه من المعروف ان يهود اوروبة الشرقية قد اعتنقوا الديانة اليهودية في عصر متأخر ولا تربطهم سوى رابطة الدين باليهود الاصليين . وكل قول عن كون فلسطين وطنا قوميا اصيلا لليهود الاصليين ، لو قبلنا به جدلا، لا يشمل اذن يهود اوروبا الشرقية اكثر اليهود حماسا للصهيونية .

وتحاول فيرا وايزمان ان تقول ان كل من ليس يهوديا فهو لاسامي، لذا يجب ان يجتمع اليهود في وطن قومي خاص بهم . « واقتربت من اليهودي العجوز وطلبت منه ان يجلس بقربي . فانتفض المسافرون الاخرون لاخذي جانب العجوز وبدأوا يشدون شعره فتبادلت معه المقاعد . عندئذ فهم هؤلاء الناس انه لا يمكن لغير يهودية التصرف كما تصرفت . وامسك احدهم بساعدي قائلا ، ايهودية ، وذهبت لابحث عن حارس ، ولو كنت اعرف الالمانية لحاولت العثور على مدير المحطة . وطلب الحارس من الجمهور ان يتوقفوا عن هذا العمل . ولكنه كان باستطاعتي ان ارى انه كان سيتصرف التصرف نفسه لو كان في وضعهم . انه لشيء مريع يا حاييم .. » (٣٥) . وتحاول فيرا وايزمان ايضا ان تثير قضية اللاسامية ليس طلبا للشفقة على شعب اللـه المختار المضطهد ، بل لتحميل العالم منة كبيرة ولتقول له ان لليهود فضلا عليه ودينا يجب ان يسدده لهم وذلك بواسطة التذكير باختراعات زوجها وموت اليهود في الحرب ضد النازية ، « ... لقد خلصت هذه حياة الالاف من جنود الحلفاء في ميادين المعارك من الموت . ومات ولدنا خلال نضاله ضد الهتلرية . كما مات العديد من اليهود الفلسطينيين . قال زوجي وقد انهكه المرض واصيب بالعمى الجزئي ان أزلية اسرائيل لن تنكر ، وصاح بدفع ثوراني ، ادعوا شعبي يسير » (٣٦) . وتنسج على هذا المنوال وتحمل على وزير خارجية حكومة العمال البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية مع انه سمح بادخال مئة ألف مهاجر يهودي الى فلسطين . « لقد ضاعت الامال التي علقناها على فوز حزب العمال البريطاني بالحكم عام ١٩٤٥ ، اذ ان استلام أرنست بيفن وزارة الخارجية البريطانية ، الشيء الذي كانت له فائدته في بعض المجالات ، كان نتيجته سيئة بالنسبة لفلسطين . ومع ان علاقات زوجي مع بيفن خلال سنوات الحرب الاولى اتسمت بالصداقة والود عندما كان بحاجة الى خدمات زوجي العلمية ، فقد أصبحت فظة ومخيبة للامال . وقد رفض زوجي العدد غير الكافي من أذونات الهجرة لآلاف اليهود الذين نجوا من غرف الغاز في « اشويتز » و « تريبلنكا » (٣٧) . حتى اليهود الذين عاشوا في الوطن العربي في وضع يحسدون عليه حاولت الصهيونية اثارة العطف عليهم ، وفي ذلك تقول ادا ميمون : « خلال الحرب العالمية الثانية أخذت الوكالة اليهودية والهستدروت خطوات فعالة لتخليص اكبر عدد ممكن من الشباب اليهود من حياة الفقر والشقاء التي كانوا يحيونها في بلاد الشرق الاوسط » (٣٨) ، وتعني الكاتبة في هذا المقطع سوريا ولبنان بالرغم من البحبوحة التي يتمتع بها اليهود الذين

(٢٦) المصدر نفسه ، صفحة ٩٩ .
(٢٧) Woman of Violence, by : Geula Cohen P. 95
(٢٨) Daughters From Afar, by : Geraldine Stern P. 173
(٢٩) المصدر نفسه ، صفحة ١٨٦ .
(٣٠) Women Build A Lanb , by : Ada Maimon, P. 132
(٣١) Daughters From Afar by : Geraldine Stern, P. 132
(٣٢) المصدر نفسه ، الصفحة ١٣٧ .
(٣٣) المصدر نفسه ، الصفحة ١٣٧ — ١٣٨ .
(٣٤) The Impossible Takes Longer. Memoirs of Vera Wizman P. 14
(٣٥) المصدر نفسه ، صفحة ١٦ .
(٣٦) المصدر نفسه ، صفحة ٢٠٠ .
(٣٧) المصدر نفسه ، صفحة ١٩٩ .
(٣٨) Women Build A Land, by : Ada Maimon, P. 141

لا يزالون فيها وبالرغم من تآمرهم على البلد الذي يحيون فيه ، واحتيال بعضهم على المؤسسات والاشخـــاص والفرار بأموالهم الى فلسطيـن المحتـــلة .

كنا قد تحدثنا عن نظرة الادب الصهيوني الى العرب ، ولا يستغرب ذلك نظرا للمطامع اليهودية بأرض العرب ومقاومتهم لها ، اما مـــا يستغرب فهو ما يعبر عنه الادب الصهيوني الغربي بالنسبة الى اليهود القادمين من اسيا وافريقيا ، آي اليهود الشرقيين او السفارديـــن الذين يصنفون في بعض الاحيان في مستوى العرب « ... وكـــانت النساء اللواتي قابلتهن اما عربيـــات مستعبدات منذ قـرون ، او يهوديات يمنيات شرقيات سفارديات او ما شابه » (٣٣) . وتقول الكاتبة نفسها : لقد أملنا أن نكسر الجليد بحيث يغير الاهالي اليمنيون وجهة نظرهم نحو تعليم البنات ، ولكن آمالنا باءت بالفشل ... وذهبـت البنات للخدمة في البيوت ولم ينلن حتى التعليم الابتدائي ... هؤلاء اللواتي سيصبحن أمهات في اسرائيل » (٣٩) . والمعروف ان حوالي نصف اليهود الذين هاجروا الى فلسطين حتى الان هم من اليهـــود الشرقيين ، بينما احدى أهم الحجج التي يثيرها اليهود أمام العـالم هي ان العرب شعب متأخر واليهود المتحضرون أتوا ليعمروا فلسطين ، فكيف يوفق بين هذا القول وما يقوله الادب الصهيوني نفسه عن اليهود الشرقيين ؟! ومثل آدا ميمون تقول جيرالدين شتيرن عن اليهـــود اليمنيين : « كانوا يسيرون حفاة ، ورفضوا ارتداء الاحذية ، لـــذا سمحنا لهم بارتداء أحذية أكبر من مقاس أقدامهم حتى لا يتضايقوا . نحن نحاول أن نبقيهم سعداء . في أول الامر كانوا ينامون تحـــت الاسرة ، فصنعنا لهم أسرة منخفضة » (٤٠) .

وتكتب آدا ميمون ايضا عن فتيات يهوديات تركيات فتقـــول : « بالرغم من تدريبهن فان عقليتهن تختلف كليا عن عقلية الرائدات اللواتي كن يأتين من مراكز التدريب في أوروبا الشرقية . وقد كانت فتـــرة تدريبهن متعبة لهن ولنا » (٤١) .

وفي نقد « يونا باشور » لقصة « ليبق الغرباء خارجا » لمؤلفتها « حمدا آلون » وذلك في مقالها « العرب في الادب العبري الحديث » اشارة الى الانجاه العنصري للحركة الصهيونية : « ان الادب العبري لا يتطرق الى المشاكل اليومية للعرب الاسرائيليين كمصادرة الاراضـي والحكم العسكري الا بشكل عابر . وتركز مسز آلون على رسالـــة الكتاب : ان المجتمع يميل الى معارضة العلاقات الغرامية بين الافراد من قوميات ومجتمعات وأديان مختلفة . واذ ننظر الى القضية من هذه الناحية ، فان علي قادري (بطل القصة) يمكن ان يستبدل بيهـودي مراكشي أو زنجي اميركي . وبينما ينادي الكتاب بالتسامح ، الا ان قيمته الادبية قليلة » (٤٢) .

ولا بد قبل انتهاء هذا البحث من أن نذكر ان مساهمة المـــرأة اليهودية في الانتاج الادبي من ناحية الكمية والنوعية لا تتساوى مـع انتاج الادباء اليهود ، واذ نشير الى الفقرة الاخيرة من مقالة « العرب في الادب العصري الحديث » حول قيمة قصة « حمدا آلون » نذكـر ان هذه الاديبة هي الاديبة الوحيدة التي يرد ذكرها في هذا المقال ، كما ان غسان كنفاني في دراسته « في الادب الصهيوني » لا يذكـــر سوى أديبة يهودية واحدة معاصرة هي « بائيل دايان » وقد تكـــون شهرتها ناتجة عن شهرة أبيها .

هذه هي أهم النقاط التي يركز عليها الادب الصهيوني ، ومنـه النسائي ، فهي القاسم المشترك في انتاج معظم الكتاب والكاتبـــات اليهود أو مؤيدي ومؤيدات الصهيونية .

أديب قعوار

(٣٩) المصدر نفسه ، صفحة ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٤٠) Daughters From Afar, by : Geraldine Stern PP 84-85

(٤١) Women Build A Land, by : Ada Maimon P. 144

(٤٢) NEW OUTLOOK Middle East Monthly, Vol. 7 No. 3 (61) March-April 1964

الصبّار

الى سعدي يوسف

أشرعة خضراءْ
مركوزة ، كالرمح ، في الصحراء
لم تشرب النبع ، ولم تكتشف الاسفارْ
لم تحضن الانهار
يوما لها غصنا واعراقا
حتى كان النار والمرّار في أعراقها .. أسوار

. . . . .

يا أذرع الصبّارْ
قافلتي .. مرت .. ولم تترك .. هنا .. تذكار
علامة .. شاخصة بين سنان العوسج البري والاحجار
سوى غبار الارنب المذعور
وحية تقتنص العصفور
فهل تركت منك لي تذكار ؟!
حتى اذا ما أطفىء النجمْ
وانسحق الفصن ، وجف النبع والحلم
واغبرت الآفاق دوني .. كان لي كالدار

يا أذرع الصبّارْ .
يا أذرعا مرفوعة نحو السماء
ضارعة ، تعانق النجم وتبكي في الدعاء
ماذا .. سوى الملح الذي تسقينه ممرغا في العلقم القاطع
ماذا .. ونهر الرمل لا يسقيك ترياقا
مرصعا جبينك الراكع
نجما وأوراقا .
كسعفة في القيظ مقروره
مخضرة ، مصفرة ، فأنت عند القبر مقبوره
وأنت عند النهر الطافح بالخيرات كالشحاذ .. منهوره
وأنت عند وحشة الصحراء .. مهجوره
جزيرة مغلقة الابواب في النسيان مطموره

. . . . .

يا زهرة الصبّار
لأنتِ .. عندي .. (الشيء والصوره) .

حسين عبد اللطيف

بصرة